الأهرام

المصدر : الاهرام

التاريخ : ١٢ يوليو ٢٠٠١

أول محاكمة دولية لرئيس دولة

معضلات مصرية

بقلم: محمد سيد أحمد

ان تقديم سلوبودان ميلوسوفيتش يوم ٣ يوليو الماضى للمثول أمام "المحكمة الجنائية الدولية "فى لاهاى يدشن مرحلة جديدة فى تاريخ "الشرعية الدولية "و "النظام الدولى "ان ميلوسوفيتش أول رئيس دولة سابق منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يمثل امام محكمة دولية للرد عن "جرائم ضد الإنسانية "ارتكبها أثناء توليه منصبه كرئيس للاتحاد الفيدرالى اليوجوسلافى حتى أطيح به فى أكتوبر المنصرم .. صحيح انه كانت هناك محاكمات نيورنبرج لقادة المانيا النازية عقب هزيمتهم عام ١٩٤٥ .غير ان الجديد هو اجراء مثل هذه المحاكمات فى ظل ميثاق الامم المتحدة أى فى عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية .وبتعبير أدق فى عالم ما بعد "الحرب الباردة "وبروز "نظام دولى "يقوم على القطبية الواحدة "

ميلوسوفيتش متهم بالمسئولية عن قتل مئات من ألبان كوسوفو وتشريد مئات الالاف غيرهم .ويجرى الان اعداد قرار اتهام اضافى مطلوب الانتهاء منه قبل اكتوبر القادم بمسئوليته عن جرائم حرب ارتكبت فى كرواتيا والبوسنة وليس فقط فى كوسوفو .فلقد افرجت واشنطن عن وثائق تتعلق بمسئولية ميلوسوفيتش عن جرائم – وصفتها بـ " الفظيعة - "ارتكبت فى كوسوفو فى يناير وفبراير ومايو ١٩٩٩ ..أى خلال الشهور الستة الدامية التى انتهت بتدخل "حلف الاطلنطى "عسكريا . وقالت كارلا ديل بونتى المدعية العامة فى

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

القضية ان اتهام ميلوسوفيتش بارتكاب عمليات ابادة بالجملة فى كرواتيا والبوسنة موضوع بحث هى الاخرى .وتتجه انظار المحكمة بالذات الى ملف مجزرة "سربرينيتسا "لاثبات مسئولية ميلوسوفيتش عنها وتأكيد دوره كقائد مباشر لقوات صرب البوسنة فى اقتراف مجاز عام ١٩٩٥ .

وقد اعلن ميلوسوفيتش انه لا يعترف بالمحكمة . ووصفها بانها تهدف الى تقديم تبريرات ملفقة لجرائم الحرب التى ارتكبها حلف الاطلنطى ضد يوجوسلافيا بعد تدخله عسكريا .غير ان الامر المؤكد هو أن محكمة لاهاى وقد اصبحت تحاكم رئيس دولة سابق بالفعل قد اصبح لها مقام جديد على المسرح الدولى .. لقد اوجدت حالة لم تعد مقصورة فيها على محاكمة مجرمى حرب "عاديين "فقط ..او على ملاحقة رئيس دولة سابق ظل امره غير محسوم الى اليوم وأعني بذلك بينوشيه بل هناك رئيس

دولة سابق هو ميلوسوفيتش بدأت اجراءات محاكمته فعلا ومن المنتظر ان تستغرق عاما أو اكثر ومعنى ذلك احتلال ميلوسوفيتش مقدمة المسرح لمدة طويلة قادمة .واصبح من الضرورى حسم مسائل ظل يحيطها الغموض وما زالت موضع جدل واسع تتعلق بالقيود الوارد فرضها على سيادة الدول .وقد بلغت هذه القيود حد تقديم رؤساء دول للعدالة الدولية لو ثبت اقترافهم جرائم معينة .نحن ازن بصدد تعميم الظاهرة .وحسم المناقشات حولها .وازالة اوجه اللبس حول "حق " التدخل – باسم "حقوق الانسان - "فى شئون الدول الداخلية وتكريس فكرة ان لا تقادم بشأن "جرائم الحرب "و"الجرائم ضد الانسانية ."

والحقيقة ان قضية بينوشيه ليست وحدها القضية التى يكتنفها غموض بل هذا هو حال قضية ميلوسوفيتش هى الاخرى .فحتى لو افترضنا ان ميلوسوفيتش ارتكب ابشع الجرائم ثمة تساؤلات لا سبيل لتجاهلها :هل من الجائز تسليمه لمحكمة لاهاى بمقتضى امر لا يعلم رئيس الدولة عنه شيئا ؟ ..لقد احتج كوستونيتشا رئيس يوجوسلافيا المنتخب الذى تولى الرئاسة بعد ميلوسوفيتش ..ونفى علمه المسبق بقرار الابعاد .قال إنه لم يستشرفى هذا الشأن ولم يخطر به مقدما وقد تم الترحيل بأمر من رئيس حكومة اقليم صربيا زوران جينجيتش فى غياب رئيس الدولة ودون التفات الى معارضته ..ولان الترحيل قد تم على هذا النحو الملتبس كادت الدولة تنشطر .واصبحت شوارع بلجراد مسرحا لمظاهرات عارمة ولفوضى شاملة ..هل بلغ التدخل الخارجى مستعينا بجهة داخلية ليست صاحبة اختصاص حد اجازة خطف من احتل فى يوم ما موقع رئيس الدولة؟

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

والغريب ان جينجيتش وقد اغفل على هذا النحو كوستونيتشا يؤكد استمرار تمسكه به على رأس الدولة رغم الازمة الحادة التى نشبت بينهما حول تسليم ميلوسوفيتش ذلك – على حد قول جينجيتش – من اجل إصلاح الفجوة بين الاقليمين فى الاتحاد بين صربيا والجبل الاسود وهى أزمة قد بلغت ذروتها بعد استقالة حكومة يوجوسلافيا الفيدرالية برئاسة زوران زيزيتش احتجاجا على تسليم ميلوسوفيتش الى المحكمة الجنائية الدولية فى لاهاى .

هناك من يقولون ان حكومة الجبل الاسود تسعى للاستقلال وتبدو غير متحمسة لرأب الصدع الذى اصاب الاتحاد الفيدرالى اليوجوسلافى اثر تسليم ميلوسوفيتش ولكن العواصم الغربية تعارض هذا التوجه بحزم وتسعى الى تفادى استقلال جمهورية الجبل الاسود كى لا تشجع الحركات الانفصالية الاخرى فى البلقان .وهى كثيرة وباتت تشكل الغاما موقوتة ..

إن مخاطرة جينجيتش بتسليم ميلوسوفيتش على وجه العجلة ودون الرجوع الى رئيس الدولة صاحب الاختصاص هى – كما صرح بذلك رئيس حكومة صربيا علنا بأمل تيسير ضم يوجوسلافيا للاتحاد الأوروبى خلال السنوات العشرة القادمة ..من منطلق ان الأوربيين سيدركون ان الأمر سيكون اكثر تكلفة لهم اذا ما ظلت يوجوسلافيا خارج الاتحاد الأوروبى وليست داخله ..!والمقصود بذلك تكلفة استضافة اللاجئين وعدوى الجريمة المنظمة الى غير ذلك من المضاعفات ..!

ولكن علينا ان نتساءل : هل جاز تبرير تسليم ميلوسوفيتش من منطلق أن هذا سوف يتيح ليوجوسلافيا الحصول على مقابل وتحديدا على مبلغ تعهدت بتقديمها ليوجوسلافيا الولايات المتحدة وغيرها من المانحين الغربيين كمكافأة على تسليم ميلوسوفيتش الى المحكمة الدولية وقد حدد المبلغ بـ ٢٨ ,١مليار دولار ..هل بلغ الاستخفاف بسيادة الدولة وكرامتها حد تحويلها إلى سلعة تشترى وتباع.؟

ثم هل بوسع هذا المبلغ النهوض بدور فعال فى إعادة بناء ما أصاب مدن يوجوسلافيا من دمار عقب غارات حلف الاطلنطى الكثيفة على المدن الصربية .. يقول الخبراء ان هذا المبلغ ماهو سوى نقطة فى بحر بالنسبة الى اقتصاد دمر تماما ..انه مبلغ لن يحدث اى تغيير فى حياة الشعب الصربى حيث ان يوجوسلافيا مكبلة بديون خارجية تصل الى ١٢,٢مليار دولار وبنسبة بطالة تصل الى ٣٠ %وتضخم يصل الى ٨٠٠٪.

ثم ان تسليم ميلوسوفيتش على هذا النحو وفى مثل هذه الملابسات ليس موضع قبول إجماعى على الصعيد الدولى ..على سبيل المثال حذر الرئيس الروسى بوتين من ان تسليم ميلوسوفيتش لمحكمة جرائم الحرب انما لابد ان يؤدى الى زعزعة استقرار يوجوسلافيا وحكومتها .بل اضيف : لابد ان تكون لمحاكمته ردود افعال شديدة التباين فى العالم العربى ..فقد شجعت المحاكمة دوائر معينة فى الكويت وبين أكراد العراق للمطالبة بمعاملة صدام حسين على نحو مماثل ..ولابد ان تكون المحاكمة تنبيها لدول شتى تصفها واشنطن بـ "الدول المارقة "الى ان محاسبتها كما تجرى الآن محاسبة ميلوسوفيتش باتت أمرا وشيكا ..

ولكن الجدير بشد انتباهنا بالذات هو ما سوف يكون لمحاكمة ميلوسوفيتش من آثار فيما يتعلق بمستقبل آرييل شارون بطل مذبحة صبرا وشاتيلا .. فإن معاملة بوش لشارون فى وقت يقف فيه بحماس ضد ميلوسوفيتش هى تعبير ناطق عن عدم تورعه فقط عن كيل الأمور بمكيالين ..ان بوش يستقبل شارون فى البيت الابيض مرتين منذ ان تولى الرئاسة الامريكية ولم يوافق بعد على اللقاء ولا مرة واحدة بعرفات ..

ومع ذلك فإن أوروبا بصدد ان تتحرك ، ذلك ان القضاء البلجيكى يقر بشرعية دعوى رفعها افراد من عائلات ضحايا مجزرة صبرا وشاتيلا وان كان لابد من شوط يتعين قطعه قبل بلوغ الدعوى المرحلة الحاسمة التى يمكن فيها احالة شارون الى محاكمة بلجيكية أو محاكمته غيابيا ..اذ أصبحت القضية من الناحية القانونية فى المرحلة الثانية من اصل أربع مراحل يتعين اجتيازها .كانت الأولى تقديم الدعوى ووثائقها والثانية اقرار مشروعية الدعوى وتطابقها مع القانون .ثم يجرى القاضى تحقيقا حول إمكان توجيه اتهام الى المتهم أو إغلاق الملف اذا لم يتوافر اساس جنائى متين .وتشكل المحاكمة المرحلة الرابعة والاخيرة .وعمليا يدخل الملف المنطقة الحساسة بعد تجاوز المرحلة الثالثة ..التى يحق فيها للقاضى القاء القبض على المتهم استنادا الى عريضة الاتهام .وهذا اجراء ليس من الضرورى ان يكون علنيا لأن القانون يمنع أى اجراء من شأنه مساعدة المتهم على الإفلات من الاعتقال.

وقد قرر شارون زيارة عدد من العواصم الأوروبية ولكنه لم تعد بوسعه زيارة بلجيكا ..والتقى بوزير خارجية بلجيكا فى ألمانيا ..ووضح له هذا الأخير أن السلطة التنفيذية – والسياسية – فى بلجيكا منفصلة تمام الانفصال عن السلطة القضائية ..ومن هنا فلا مانع من اللقاء به سياسا .. ولكنه اذا ما وطأ بقدمه ارض بلجيكا فإنه يعرض نفسه للحبس ..

لقد قيل إن العولمة هى نهاية النظام العالمى الثنائى القطبية ..ونهاية بالتالى للعلاقات العدائية بين الدول .ولكن ها نحن نشهد استمرارا وتفاقما للكيل بمكيالين .ولايبدو اننا بصدد التوجه نحو تسوية النزاعات الأكثر ضراوة بل مازالت فى أحوال كثيرة عرضة لمزيد من التوتر ...

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية